الفصل الخامس

تحذير المرأة المسلمة من مساوىء الأخلاق والآداب

البحث الأول:

خُلق المرأة المسلمة وكماله

إن مطالب الكمال الخلقي للمسلمة مطلبٌ شريفٌ منيفٌ، إذ الخُلُقُ قِوامُ الحياةِ الفاضلة، ورأسُ الأمرِ فيها.

ولقد أثنى الله تعالى على نبيّه بخلقه فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وما جمالُ رسالتهﷺ إلّا إكمال الأخلاق فقد قال: «**إنّما بعثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**»[2].

لأنّ ذا الخُلُقِ الحَسَنِ الفاضل يأبَى عليه خلقهُ أنْ يكفر ربه، أو يكفر نعمه عليه، كما يأبى عليه أن يأتي الشر والفساد، أو يتورط في الخَبَثِ. ولذا كان من حق المسلمة أن تطلب كمال أخلاقها، وتترقى فيها حتى تكون من الفاضلات المؤمنات اللاتي شرفن بأخلاقهنّ، وتميزن بها بين نساء العالمين. وطريق الحصول على الأخلاق: متابعة رسول الله ودراسة سيرته، وقد سئلت أم المؤمنين عن أخلاق رسول اللهﷺ فقالت: «كان خُلُقُهُ القرآنُ»[3].

---

(١) سورة القَلَم، الآية: ٤.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد ٣/ ٣٨١، وفي الموطأ، ص ٩٠٤ بمعناه.

(٣) رواه مسلم ٢/ ١٦٩.

obeikandl.com

فللمسلمة أن تدرسَ الشمائلَ المحمدية، وسير الصالحات من نساء المؤمنين السّالفات ما تكمّل به خُلقها حتى تصبح مثلاً للكمال الخلقي في دنيا النّاس، وهذا حق من حقوقها، ومطلب شريف لها، لا يُنازعها فيه أحد، ولا يصدّها عنه صادّ(١).

البحث الثاني:

خُلُقُ المرأة المسلمة واجب يومي

اعلمي أيَّتُها المرأةُ المسلمةُ أنّ الخُلُقَ الحسنَ هو قوامُ حياتِك وعليه مدارُ سعادتكِ، فإنْ رُزِقْتِهِ قد رزقتِ كلَّ خيرٍ!! وإنْ حُرِمْتِهِ فإنّك حُرِمْتِ من كلِّ خيرٍ(٢).

والرسولُ ﷺ يقولُ لمن جاء يسأل عن البِرّ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ»(٣).

كما سئل عن أكثر ما يدخِلُ الجنّة فقال: «تقوى الله تعالى، وحُسْنُ الخُلُقِ»(٤).

وقال ﷺ في بيان شرفِ حُسْنِ الخُلُق: «إنّ من أحبِّكُم إليَّ وأقربِكُم منّي مجلساً يومَ القيامة أحاسِنُكمْ أخلاقاً»(٥).

وقال: «إنّ العبدَ ليبلغُ بحُسْنِ خلقهِ عظيمَ درجاتِ الآخرةِ وشرفَ المنازِلِ، وإنّه لضعيف العبادة»(٦).

---

(١) المرأة المسلمة: للجزائري، ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) المرأة المسلمة: للشيخ أبي بكر الجزائري، ٨٥ - ٨٨.

(٣) رواه مسلم ٨/ ٧.

(٤) رواه الترمذي وصححه ٤/ ٣٦٣.

(٥) رواه البخاري ٨/ ٣٤: «إن من أحبّكُمْ إليّ أحسنُكُمْ خُلُقاً»، وباقي الرواية في الترمذي ٤/ ٣٧، وأحمد ٤/ ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) رواه الطبراني وسنده جيّد، المعجم الأوسط ج٧/ ١٥٤، برقم ٦٢٧٩.

والأخلاق الفاضلة تُكْتَسَبُ بالرياضة، والمواظبة والتعوّد، وإليكِ جملةً صالحة منها، فروّضي نفسَكِ عليها وتعوّدي التخلّق بها، وواظبي عليها تفوزين إن شاء الله تعالى بحُسنِ الخُلُقِ وحَسْبُكِ خيراً وشرفاً حُسْنُ الخُلُق.

١ - الصّبرُ وهو أن تحبسي نفسَكِ على الطّاعات، وفعل الخيراتِ بلا ضجرٍ ولا مَلَلٍ، كما تحبسينها بعيدةً عن المعاصي وعن كل خُلُق مذموم كالكذب والخيانة والغشّ والخسة، والكِبْر، والعُجب، والبُخْل والشّح والجزع.

٢ - الصّفح والإعراض عن كل ما تسمعين من كلمة نابية، أو حركة عنيفة، فلا تردّي على السيّئة بالسيّئة، ولكن بالحسنة وهي الكلمةُ الطيبةُ، قابِلي الجفاء والغِلْظة من أفراد عائلتكِ بالعطفِ، والرحمةِ واللّين، إن علتْ أصواتُهم اخفضي صوتَكِ، وإن قبحتْ كلماتُهم جمّلي لفظَكِ، وطيبي كلماتكِ، بهذا تملكين قلوبَهُم وتظفرين بودّهم وتقربهم، وحسن معاملتهم. قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١).

قد تضمنت هذه الآية أصول الخُلُق الفاضل، فقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أمر بأن لا يكلّف المؤمن أخاه ما لا يقدر عليه من الأعمال والأقوال، وما ليس عنده من أدب، وحُسْن خلق. وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ يريد: وأْمُرِ النّاس بالمعروف دون غلظةٍ، ولا شدّةٍ بالمعروف من القول والفعل، وهو خلاف الباطل والمنكر، وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أُمِرَ بالصّفح، ومقابلة الغلظة والجفاء بالعطف واللّين والعفو، وعدم المؤاخذة وكفى بهذه أخلاقاً فاضلة تثمر الخير والبر، وتهدي إلى سبل السّلام.

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(٢).

وقال لرسولهِ ﷺ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤-٣٥.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

٣ - الحياءُ والاحتشامُ، فألْزِمي نفسَكِ بهذا الخلق فإنه أخو الإيمان، وجماع البِرّ والإحسان، فاستحي من الله تعالى حق الحياء، فلا يراكِ على ما يكرهُ، واستحي من الملائكة، فلا تتكشفي في خلوتكِ ما استطعتِ، واستحي من زوجكِ وأهلكِ ومن سائر النّاسِ، فلا تقولي البذاءَ، ولا تنطقي بالفُحْشِ، ولا تعملي عملاً، أو تقولي قولاً يُجانب الحشمة والحياء.

إنّ الحياء كله خير، ولا يأتي إلّا بخير، «**الحياء كلُّهُ خيرٌ**»، «**الحياءُ من الإيمان**»، «**والحياءُ لا يأتِي إلا بخيرٍ**»(١). فاسْتري محاسِنَكِ، ولا تتبذلي أمام أقاربك، وحسّني كلماتك، وغضّي بصرَكِ، وأطيلي ثيابكِ، ولا تكشفي رأسَكِ، فلا يفارقك خمارك، ولا عِجارُكِ إلّا إذا خلوتِ بزوجكِ في عُقْرِ دارِكِ.

٤ - كوني سخيّة فلا تبخلي بفضل طعام، أو شراب، أو كساء، أو دواء، ابذلي المعروف، وتصدقي من مال زوجكِ بعدَ استئذانه وإذنه فتشاطريه الثواب. وفي البخاري: «**إنّ المرأة إذا تصدقت من مال زوجها بإذنِهِ لها نصفُ الأجر وللزوج النّصف**» فلك الأجر والمثوبة، وتسلمي من العقوبة؛ إن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾(٢) فاحذري الشّح واتقيهِ بالصّدقة القليلة والكثيرة، أحسني إلى جارتكِ كما تحسنين إلى أقاربكِ، واعلمي أنّ الله تعالى مع المحسنين.

٥ - عليكِ بالإيثار فآثِري أهلَ بيتكِ، اظمئي ليروُوا، واتعبي ليستريحوا، ولا تحسبي هذا نقصاً فيك بل هو الكمال، والجمال، والجلال، إنّك بإيثارك الخير تُصبحين سيدةً، والسّيدةُ خير من المسودة، وفي الحديث الشريف: «**خادمُ القومِ سيّدُهم**»(٣).

فالسيّد هو صاحب التصرّف، وهو المتصرّف!! وقيل لأحدهم: بِمَ سادَ

(١) كلها أحاديث صحيحة طالعيها إن شئتِ في جامع الأصول ٣/ ٦١٦ - ٦٢٣، وصحيح مسلم ١/ ٤٦ - ٤٧.
(٢) سورة الليل، الآيات: ٥-٧.
(٣) البخاري في صحيحه.

فيكم فلانٌ؟ قال: احتجنا إليه واستغنى عنّا!! فاعرفي هذا الخُلُق، واكسبيه بالرّياضة للنّفس، والمجاهدة لها.

٦ - الصّمت وحُسْن الصّمت، الْزَمِي هذا الخُلُق فقلّلي من الكلامِ ولا تتكلّمي إلّا بخير لقول الرسول ﷺ: «**مَنْ كانَ يؤمِنُ بالله واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خيراً أو ليصمتْ**»[١]. وإذا تكلمتِ فأوجزي، وقولي المعروف فقط. قال تعالى في تأديب نساء النبيّ ﷺ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[٢].

والزَمي حُسْنَ السّمْتِ في لباسكِ ومشيتكِ وقعودكِ، وفي عملكِ، وقولكِ، فتأنّي واحلُمي، ولا تغضبي ولا تضجري ولا تفرحي فرح الأشِرِ والبَطِرِ [الأشر: المرح فرحاً، والبطر: غمط الحق وغمض الناس]. ولكن احمدي الله تعالى واثني عليه بنعمه، وأكثري من شكرِه وحمدِه!.

٧ - أنصفي من نفسِكِ فإنّ الإنصاف من حُسْن الإسلام[٣]. تصنّعي لزوجكِ كما تحبين أن يتصنّع لكِ، واكرهي لغيرك ما تكرهينَهُ لنفسكِ، وأحبّي لأهلكِ وأقاربكِ وسائر المؤمنين ما تُحبينَ لنفسكِ، وفي الحديث الصحيح: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِهِ**» أي من الخير[٤]!!.

إنّ من الإنصاف المأمور به أن تعاملي غيركِ بما تُحبين أن يعاملوكِ، فلا تَرَي لنفسكِ الأثَرَة على غيركِ، وكما تريدين أن يقال لك من جميل اللفظ وكريم القولِ، فقولي أنت لغيركِ ذلك، وكما تكرهين أن تُؤذَيْ في عرضِكِ أو بدنكِ من القولِ فلا تقولي أنتِ لغيرك ذلك. وبذلك تظفرين بخلق الإنصاف من النفس، وهو من حُسْن الخُلُق، وكريم الشّيم، وطيبِ النّفْس.

تلك أيّتها المؤمنةُ جملةٌ من الأخلاق الفاضلة فتحلّي بها وتجمّلي باكتسابها

---

(١) رواه البخاري ٨/ ١٣١، ومسلم ١/ ٤٩.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٢-٣٣.
(٣) هذا بعض حديثه في صحيح البخاري ١/ ١٥ تعليقاً.
(٤) رواه البخاري ١/ ١١، ومسلم ١/ ٤٩.

وعيشي عليها تكْمُلي وتسعدي. والله معكِ ولا يَتِرَكِ عملكِ، فإنّ الله مع الذينَ اتّقَوا والذين هم محسنون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(١).

البحث الثالث:

جرأة المرأة المسلمة الأدبية

عن أبي نوفل، في حديث أيام ابن الزبير: ثم أرسل - يعني الحجاج - إلى أمهِ أسماء بنت أبي بكر ﷺ فأبتْ أن تأتيَهُ، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني، أو لأبعثنّ إليك من يسحبك بقرونك، فأبتْ، وقالتْ: والله لا آتي إليك حتى تبعث من يسحبني بقروني، فقال: أروني سبتيّ، فأخذ نعليه، ثم انطلق يتوذّف حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدوّ الله؟ - يعني ابنها - قالت: «رأيتُكَ أفسدتَ دنياهُ، وأفسدَ عليكَ آخرتَكَ، بلغني أنّك تقول: يا ابن ذات النطاقين، أنّا والله ذاتِ النّطاقين، أمّا أحدهما فكنتُ أرفعُ به طعامَ رسولِ الله ﷺ وطعامَ أبي، وأمّا الآخر فنطاقُ المرأةِ التي لا تستغني عنه.

أما إنّ رسولَ الله ﷺ حدثنا أنّ في ثقيفٍ كذاباً ومبيراً، أمّا الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلّا إيّاهُ» فقام ولم يُراجِعْها!(٢).

مبيراً: من باب البوار وهو الهلاك، وفي التنزيل: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾(٣).

وقال الجوهري: هو الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه. وزاد رزين: إن الحجاج قال: دخلت عليها لأحزنها فأحزنتني.

قرون المرأة: ضفائرها. والتّوذّفُ: التّبختر، وقيل: الإسراع، والسبتيتان:

(١) سورة النّحل، الآية: ١٢٨.
(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصّحابة ٢٢٩.
(٣) سورة الفَتْح، الآية: ١٢.

النعلان، وأصله من السّبت وهو جلود البقر المدبوغة بالقرظ يُعمل منها النعال، فنسبت إليها، وقيل: من السّبت، وهو حلق الشعر لأن شعر الجلود يرمى عنها، ثم تعمل منها النّعال، والمبير: المُهْلك.

البحث الرابع:

إحسان المرأة المسلمة

إنّ الإحسان ثلث دينك أيَّتُها المرأة المؤمنة لما علمت من أن النبيّ ﷺ لمّا سئل عن الإسلام فأخبر أنه إيمان، وإسلام وإحسان، وقد عرفت في كتابك هذا الإيمان والإسلام وهذا هو الجزء الباقي وهو الإحسان، فاعرفيه، وأحسني في معتقدك، وقولك، وعملك، وبذلك يكمل دينك وتصبحين أهلاً للكمال، والسعادة في الدنيا والآخرة.

وإليك بيانه مفصلاً:

الإحسان: - لغة - ضد الإساءة. والإحسان واجب، والإساءة حرام، أمر الله تعالى به، وأثنى على فاعله في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] وفي حديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب[2] وهو حديث مشهور صحيح. وهو واجب في العقيدة، والقول والعمل. كما أن الإساءة تكون في العقيدة، والقول، والعمل، وهو - أي الإحسان - لا يتم لك ولا تكونين مع أهله إلا إذا وطنت نفسك لمراقبة الله تعالى، فكنتِ على حال لا تقولين ولا تفعلين إلا وكأنك بين يدي الله تعالى تنظرين إليه، أو هو ينظر إليك. بيّن هذا رسول الله في جوابه لمن سأله عن الإحسان، فقال: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**». ومعناه أن العبد إذا دخل في العبادة يكون فيها على أحد

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ١٩٥.
(٢) وهو في صحيح مسلم ٢٨/٢٩، وأخرجه أهل الحديث.

حالين: إما أن يكون من شدّة المراقبة لله تعالى كأنه يرى الله تعالى، وإما أن يكون معتقداً أن الله تعالى يراه، وبذلك يحسن العبد قوله وعمله، ويتقنهما حتى يثمرا الثمرة المطلوبة منهما.

ولكي تكوني أيتها المؤمنة من أهل الإحسان عليك بمراقبة الله ﷻ في شأنك كله إذا فكرت، إذا قلت، إذا عملت، وبذلك تكون أقوالك وأعمالك صالحة، مثمرة نافعة لك.

واعلمي أنّه لا يصح منك قول ولا عمل حتى تريدي به وجه الله تعالى أولاً وهذا هو الإخلاص.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(١).

وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٣). والدّعاء هو الدِّين فمن أشرك في دعائه غير الله تعالى لم يستجب له ووجبت له النّار.

فاحذري أيّتُها المؤمنة الشّرك في الدعاء وفي غيره من العبادات، وأخلصي جميع أعمالك لربك ﷻ. وتعلّمي ما القول وما الفعل المحبوب إلى الله تعالى، أولاً وما هي كيفية القول والعمل المحبوب إليه تعالى ثانياً.

ومن هنا عليك العلم قبل القول والعمل، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٤) وكما قال البخاري: «العلمُ قبلَ القولِ والعملِ»(٥). لذا ألّفت لك هذا الكتاب، حاوياً كل ما ينبغي لك معرفته من المعتقدات، والأقوال، والأعمال، مما يجب اعتقاده، وقوله، وعمله، ومما يجب تركه من ذلك، وقد تقدم بيانه، وها أنذا أبيّن لك كيفيات العمل، والقول في العبادات، والآداب والأخلاق.

---

(١) سورة الزُّمَر، الآية: ٣.
(٢) سورة البيّنَة، الآية: ٥.
(٣) سورة غافر، الآية: ١٤.
(٤) سورة محمّد، الآية: ١٩.
(٥) البخاري ج ١/ ٢٧.

وأبدأ بأولى قواعد الإسلام: الصلاة، ثم بيان باقي القواعد إلى نهايتها. ثم أبين لك الآداب التي يلزم التأديب بها، والأخلاق التي يجب التخلّق بها، سائلاً للكِ الله تعالى الفهمَ فيها، والعملَ بها لتكملي، وتَسْعَدِي في دينك وآخرتِكِ[١].

البحث الخامس:

كرم المرأة وحُسن ضيافتها

عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني مجهود»، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، فقال ﷺ: «**من يضيّفه يرحمه الله؟**» فقام أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: «لا إلا قوت صبياني، قال: فعلّليهم بشيء ثم نوّميهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنّا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل فقومي إلى السّراج كي تصلحيه فأطفئيه، وقعدوا وأكل الضّيفُ وباتا طاويَيْن، فلمّا أصبح غدا على رسولِ الله ﷺ فقال له ﷺ: «**لقدْ عجبَ الله البارحة من صنيعكُما لضيفكُما**»، فنزل قولُه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢].

والمجهود: المهزول الجائع، وتعليل الطفل: وعده وتسويفه وصرفه عمّا يُراد صرفه عنه. وإذا نام الصّائم ولم يفطر فهو طاوٍ. والخصاصة: الحاجة والفاقة[٣].

---

(١) المرأة المسلمة: لأبي بكر الجزائري ٢٨/٢٩.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ١٠، والتّفسير سورة ٥٩، ورواه مسلم في كتاب الأشربة ١٧٢ - ١٧٣، ورواه الترمذي في كتاب التّفسير سورة ٥٩.

البحث السادس:

تحريم الكِبر والعُجب والخيلاء

أختي المؤمنة:

احذري هذه الأخلاق الذّميمة، فإنّها منافيةٌ لأخلاق الإسلام، وقد حرّمها الله تعالى لخُبثها وآثارها الضّارة في المجتمع!.

قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(١).

وقوله ﷻ: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٥) أي صاغرين، والآيات في ذمّ الكبر كثيرة.

وقوله صلوات الله عليه: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلّة تُعْجِبُهُ نفسُهُ مُرَجّلٌ - أي ممشّط - رأسه مختالٌ في مشيته إذْ خسفَ الله بهِ، فهو يتجلجلُ في الأرضِ إلى يوم القيامةِ**»(٦).

وقوله ﷺ: «**بينما رجلٌ ممَّن كانَ قبلكُمْ يجرُّ إزارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ خُسِفَ بهِ فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ**»(٧).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.
(٣) سورة غَافر، الآية: ٣٥.
(٤) سورة النّحل، الآية: ٢٣.
(٥) سورة غَافر، الآية: ٦٠.
(٦) صحيح البخاري ٦/ ٣٤٨٥ «الفتح»، والترمذي ٤/ ٢٤٩١.
(٧) أخرجه أحمد ٢/ ٣١٥، وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ١٢٦، فقال: رواه أحمد والبزار بأسانيد، وأحدُ أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح.

والخُيلاء بضم الخاء المعجمة أو كسرها وبفتح الياء ممدود هو: الكِبْرُ والعُجْبُ، ويتجلجلُ بجيمين: أي: يغوصُ وينزلُ فيها.

وقوله ﷺ: «بينما رجلٌ ممّن كانَ قبْلَكُم خَرَجَ في بردَيْنِ أخضرين مُختالاً فيها - أو فيهما - أمرَ الله الأرضَ فأخذتْهُ فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ»(١).

وصحَّ أيضاً: «أن رجلاً كان في حلة حمراء فتبختر واختال فيها فخسف الله به الأرضَ فهو يتجلجلُ فيها إلى يومِ القيامةِ»(٢).

وقوله ﷺ: «إن الله لا ينظرُ إلى من يجرُّ إزارَهُ بَطَراً، لا يدخلُ الجنّةَ من كان في قلبِهِ مثقالُ ذرةٍ مِنْ كِبْرٍ».

قيل: «إنّ الرّجلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حسناً ونعلَهُ حسنَةً، قال: «إن الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ - أي: رده ودفعه - وغَمْطُ النّاس»(٣) - أي: احتقارهم وازدرائهم وكذا غمصهم.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «قال الله ﷻ: الكِبْرِياءُ رِدَائِي، فمَنْ نازَعَنِي في رِدائِي قصمتُهُ»(٤).

«وقال الله تعالى: الكبرياءُ رِدائي والعزّ إزارِي مَنْ نازَعَنِي في شيءٍ فيهما عذّبتُهُ»(٥).

وفي الحديث القدسي: «قال الله تعالى: الكبرياءُ رِدائي والعظمةُ إزارِي فمن نازَعَنِي واحداً منهما قذفتُه في النّارِ»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣١٥، وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ١٢٦، فقال: رواه أحمد والبزار بأسانيد، وأحدُ أسانيد البزار ورجاله رجال الصّحيح.
(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ١٢٦، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصّحيح.
(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٦٥٣.
(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٦١، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيح.
(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٢٤٨، وأبو داود ٤/ ٤٠٩٠، وقال الألباني: حديث صحيح.
(٦) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٦، وأبو داود ٤/ ٤٠٩٠، وابن ماجه ٢/ ٤١٧٤، وهو حديث حسن.

وقال ﷺ: «ألاَ أخبرُكُم بأهْلِ النّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ - أي هو الغليظُ الجافِي - جوّاظ - أي: الجَمُوع المَنُوع، جعظري - مستكبر».

وقوله ﷺ: «ألاَ أخبرُكُم بأهلِ النّار: كل عُتلٍّ جَواظ مستكبر»(١).

وقال أيضاً: «لا يدخل الجنّة الجواظ ولا الجعظري». والجواظ: الغليظُ الفَظُّ (٢).

وقال ﷺ: «سيُصيبُ أمّتي داءُ الأُمَم: الأشَرُ والبَطَرُ والتّكاثُرُ والتّشاحنُ في الدنيا والتّباغض والتّحاسد حتى يكونَ البغي»(٣).

وقال ﷺ: «ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ الله يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم ولا ينظرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذّاب، وعائلٌ - أي: فقير - مستكبرٌ»(٤).

وقال ﷺ: «أربعةٌ يُبغضهم الله: البيّاعُ الحلاّفُ، والفقيرُ المختالُ، والشّيخ الزّاني، والإمام الجائرُ»(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ تعظَّمَ في نفسهِ واختال في مشيتِهِ لقيَ الله وهو عليه غضبانُ»(٦).

وقال صلوات الله عليه: «لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ إزارَهُ بَطَراً»(٧).

وقال ﷺ: «مَنْ جرَّ ثَوبَهُ خُيلاءَ لم ينظر الله إليهِ يومَ القيامةِ»(٨).

وقال ﷺ: «لينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الّذين ماتُوا، إنّما هم فَحْمُ جهنَّمَ، أو ليكُونَنّ أهونَ على الله من الجُعَل أي: دويبة أرضية - الذي يدهده -

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٤٩١٨ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢١٩٠.
(٢) أخرجه أبو داود ٤/ ٤٨٠١، وهو حديث صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم ٤/ ١٦٨، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال: حديث صحيح.
(٤) صحيح مسلم ١/ ١٠٢، والنسائي ٥/ ٨٦.
(٥) أخرجه النسائي ٥/ ٨٦، وابن حبان ٧/ ٥٥٣٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٨٠.
(٦) أخرجه أحمد ٢/ ١١٨، والبخاري في الأدب المفرد ٢/ ٥٤٩، والحاكم ١/ ٦٠، وهو حديث صحيح حسن.
(٧) صحيح البخاري ١٠/ ٥٧٨٨ «الفتح»، وأحمد ٢/ ٣٨٦.
(٨) صحيح البخاري ١٠/ ٥٧٨٤ «الفتح»، ومسلم ٣/ ١٦٥١.

أي: يدحرج - الخرأة بأنفهِ، إنّ الله أذهبَ عنكُمْ عَبِيّةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء، إنّما هو مؤمنٌ تقيٌّ وفاجرٌ شقيٌّ، النّاسُ بنُو آدمَ، وآدم خلق من تراب»[١].

وإنّه ﷺ قال: «تحاجّتِ الجنّة والنّارُ، فقالتِ النّارُ: أوثِرْتُ بالمتكبّرين والمتجبّرين، وقالت الجنَّةُ: ما لي لا يدخلني إلّا ضعفاءُ النّاس، وأسقاطُهُم وعجزتُهُم؟ فقال الله ﷻ للجنّة: إنّما أنتِ رحمتي أرحم بكِ مَنْ أشاءُ من عبادي، وقال للنّارِ: إنّما أنتِ عذابِي أعذّب بكِ مَنْ أشاءُ مِنْ عبادِي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما مِلْؤها»[٢].

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أخبرُكُم بأهلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضعيفٍ مستضعفٍ، لو أقْسَمَ على الله لأبرَّهُ، ألاَ أخبرُكم بأهلِ النّار؟ كلّ عُتُلٍّ جواظ مستكبر»[٣].

وقال ﷺ: «إنّ من أحبّكُم إليَّ وأقربِكُم منّي مجلساً يومَ القيامةِ أحاسِنُكُم أخلاقاً، وإنّ أبغضَكُم إليَّ وأبعدَكُم منّي مجلساً يومَ القيامةِ الثّرثارُون المتشدّقُون - أي المتوسّعُون في الكلام - المتفيهقُون» قالوا: يا رسولَ الله قد علمنا الثّرثارون المتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبّرُون»[٤].

والثّرثارُ: كثيرُ الكلام تكلّفاً، والمتشدّقُ: المتكلّم بملء شدقِه، تفاصحاً وتعاظماً واستعلاءً على غيره وهو معنى المتفيهق.

وقال ﷺ: «مَنْ فارقتْ روحُهُ جسَدَهُ وهو بريء من ثلاثٍ دخل الجنة: الكِبْرُ، والدَّين، والغُلُول».

رواه الترمذي بلفظ: «مَنْ ماتَ وهو بريءٌ من الكِبْرِ والغُلُولِ والدَّينِ، دخَلَ الجنَّةَ»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٦١، والترمذي ٥/ ٣٩٥٥، وأبو داود ٤/ ٥١١٦، وهو حديث حسن.
(٢) صحيح البخاري ٨/ ٤٨٥٠ «الفتح»، ومسلم ٣/ ٢١٨٧.
(٣) صحيح البخاري ٨/ ٤٩١٨، وصحيح مسلم ٤/ ٤١٩٠.
(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٣، والترمذي ٤/ ٢٠١٨، وقال: حديث حسن.
(٥) أخرجه الترمذي ٤/ ١٥٧٢، وابن ماجه ٢/ ٢٤١٢، وقال الترمذي: حديث صحيح حسن، وأخرجه الحاكم ٢/ ٢٦ بنحوه.

وقال ابن مسعود: كفى بالرجلِ إثماً إذا قيل له: اتّقِ الله، أن يقولَ: عليك بنفسِكَ.

وقال ﷺ لرجل: «كُلْ بيمينكَ» فقال متكبّراً: لا أستطيعُ، فشُلّتْ يَدُهُ، فلم يرفعها بعدُ[١].

والعُجْبُ ذَمَّهُ الله تعالى بقوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٣]. فقد يعجبُ الإنسان بعمله وهو مصيبٌ فيه أو مخطىء.

وقال ابن مسعود: الهلاكُ في اثنتين: القنوطُ والعُجْبُ، أي: لأنّ القانط آيسٌ من نفع الأعمال، ومَنْ لازَمَ ذلك تركَها، والمُعْجَبُ يرى أنّه سعِدَ وظفرَ بمرادهِ فلا يحتاج لعمَلٍ!؟.

ومن ثَمَّ قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٤].

ومن تزكية النّفس اعتقاد أنّها بارّةٌ، وهو معنى العُجْب.

وقال مطرف: لأنْ أبيتُ نائماً وأصبحُ نادماً، أحبّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً وأُصبحَ مُعْجباً.

وللعُجب آفاتٌ كثيرةٌ؛ تُولِّد الكِبْرَ عنه كما مرَّ، فتكون آفات الكِبْرِ آفاتُ العُجبِ؛ لأنّه الأصل، هذا مع العباد، وأمّا مع الله فهو ينسى الذّنوبَ لظنّه أنّه لا يُؤاخذ بها، فلا يتدارك ورَطاتِها، ولا يتنصّل من مذامّها، ويُورث استعظام عبادته ويمتنُّ على الله بفعلها، فيعمى عن تفقد آفاقها فيضيع كلُّ سعيه أو أكثره، إذِ العملُ ما لم يُتنقّ من الشّوائب لا ينفع، وإنّما يحمل على تنقيته منها الخوفُ، والمعجبُ غرّتْهُ نفسُهُ بربّهِ فأمِنَ مكرَهُ وعقابَهُ، وعدَّ أنّ له على الله حقَّهُ بعملهِ

(١) صحيح مسلم ٣/١٥٩٩، وأحمد ٤/٤٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٤) سورة النّجم، الآية: ٣٢.

فزكّى نفسَه وأعجب برأيِه وعقلِه وعلمِه حتى استبدَّ بذلك، ولم تطمئن نفسه أن يرجع لغيره في علم ولا عملٍ، فلا يسمع نصحاً ولا وعظاً، لنظره إلى غيره بعين الاحتقار، فعلم أنّ العُجب إنّما يكونُ بوصفٍ هو كمال في حدّ ذاتِه، لكنّه ما دام خائفاً من سلبِه من أصلِهِ، فهو غيرُ معجبٍ به، وكذا لو فرحَ به من حيثُ إنّه نعمةٌ من الله تعالى أنعم بها عليه، بخلاف ما إذا فرحَ به من حيث إنّه كمال متصف به مع قطع نظره عن نسبته إلى الله تعالى؛ فإن هذا هو العجب فهو استعظام النّعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله تعالى.

وإنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى أوحى إليّ أن تواضَعُوا حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبْغِي أحدٌ على أحدٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**ما نقصتْ صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ الله عبداً بعفوٍ إلّا عزًّا، وما تواضَعَ أحدٌ لله إلّا رفعَهُ الله**»(٢).

البحث السابع:

تحريم الغضب بالباطل والحقد والحسد

أختي المؤمنة:

احذري الغضبَ بالباطل على زوجك أو على أحدٍ من أهلكِ أو جيرانك، واتركي الحقدَ والحسدَ، فإنهما ينافيان الإيمان ويناقضان أخلاقَ الإسلام.

ولمّا كانتْ هذه الثلاثةُ بينها تلازمٌ وترتّبٌ، إذ الحسدُ من نتائج الحقدِ، والحقدُ من نتائج الغضب، كانت بمنزلة خصلةٍ واحدةٍ، فلذلك جمعتُها في بحثٍ واحدٍ لأنّ ذمَّ كلٍّ يستلزمُ ذمَّ الآخر، إذ ذمُّ الفرع وفرعهِ يستلزم ذمَّ الأصل وأصلهِ، وبالعكس. قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢١١٩، وأبو داود ٤/ ٤٨٩٥، وابن ماجه ٢/ ٤٢١٤.
(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠١، والترمذي ٤/ ٢٠٢٩.

حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾(١).

ذمَّ الكفارَ بما تظاهَروا به من الحميّة الصّادرة عن الغضب بالباطل، ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السّكينة والطّمأنينة الناشىء عنها إلزامهم كلمة التّقوى وأنّهم هم أهلُها وأحقُّ بها.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(٢).

وقال ﷺ: «اجتنبِ الغَضَب»(٣).

وقال ﷺ: «إذا غضبَ أحدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»(٤).

وقال ﷺ: «الصُّرعةُ كلُّ الصُّرعةِ الّذي يغضبُ فيشتدُّ غضبُهُ ويحمرُّ وجهُهُ ويقشعِرُّ شَعْرُهُ فيصرعُ غضبَهُ»(٥).

وقال ﷺ: «ليسَ الشّديدُ بالصُّرْعَةِ، إنّما الشّديدُ الذي يَمْلِكُ نفسَهُ عندَ الغَضَبِ»(٦).

وروى أحمد عن أحدٍ من الصّحابة قال: يا رسولَ الله أوْصِني، قال: «لا تَغْضَبْ» قال: أوْصِني، قال: «لا تغضبْ»(٧).

وقال ﷺ: «إنّي لأعلمُ كلمةً لو قالها هذا الغضبانُ لأذهبتِ الذي بهِ مِنَ الغضبِ: اللّهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِنَ الشّيطان الرجيم»(٨).

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٤٠٨، وهو في السلسلة الصحيحة ٤٦٧، وقال: إسناده صحيح.
(٤) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٩، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٣٦٧، وفي صحيح الجامع ٣٨٥٩: حسن.
(٦) صحيح البخاري ١٠، ح٦١١٤ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢٠١٤، وأحمد ٢/ ٢٣٦.
(٧) صحيح البخاري ١٠، ح٦١١٦ «الفتح»، وأحمد ٢/ ٣٦٢.
(٨) أخرجه أحمد ٦/ ٣٩٤، وأبو داود ٤، ح٤٧٨١، والحاكم ٢/ ٤٤١، وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

وقال ﷺ: «تُعرَضُ الأعمالُ في كلِّ جمعةٍ مرّةً يوم الاثنين، ويوم الخميس فيُغْفَرُ لكلِّ عبدٍ مؤمنٍ إلّا عبداً بَيْنَهُ وبينَ أخيهِ شحناء، فيُقال: اتركُوا هذَيْنِ حتّى يَفيئا»(١).

وفي لفظ: «تُفْتَحُ أبواب الجنّة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله فيهما لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئاً إلّا رجُلٍ كانت بَيْنَهُ وبينَ أخيهِ شحناءٌ، فقال: أنْظروا هَذَيْنِ حتّى يَصْطَلِحا»(٢).

وقال ﷺ في النّهي عن الحسدِ وأسبابه وثمراتهِ: «لا تَباغَضُوا ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَقاطَعُوا، وكُونُوا عبادَ الله إخْواناً، ولا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثةٍ»(٣).

ومحل ذمّ الغضب إنْ كان بباطلٍ وإلّا فهو محمودٌ، ومِنْ ثَمّ كان ﷺ لا يغضبُ إلّا لله سبحانه.

أخرج الشيخان أن رجلاً قال: يا رسول الله إنّي لأتأخَّرُ عن صلاةِ الصّبح من أجلِ فلانٍ ممّا يُطيلُ، فما رأيتُ النبيّ ﷺ غضبَ في موعظةٍ قطُّ أشدَّ ممّا غضبَ في موعظتِهِ يومئذٍ، فقال: «يا أيُّها النّاسُ، إنّ منكُمْ منفّرين، فأيّكُم أمَّ النّاس فَلْيوجِزْ فإنّ مِنْ ورائهِ الكبيرَ والصّغيرَ وذا الحاجَة»(٤).

وقالتْ عائشةُ رضي الله عنها: قدِمَ رسولُ الله ﷺ من سفرٍ وقد سترتُ سهوةً لي - أي صفة - بين يديْ البيتِ بقِرامٍ - أي سترٍ رقيق - فيه تماثيل، فلما رآه ﷺ هتكَهُ - أي أفسدَ الصّورة التي فيه - ورماهُ بيدِه، وقال: «يا عائشةُ، أشدُّ النّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ الّذينَ يُضاهُونَ بخَلقِ الله عزّ وجلّ»(٥).

قال أنس: رأى ﷺ نُخامةً في القِبْلَةِ فشقَّ ذلك عليه حتّى رُؤيَ في وجهه الغَضَبُ، فقام فحكَّها بيدِه، وقال: «إنّ أحدَكُمْ إذا قامَ في صلاتِهِ فإنّه يُناجِي ربَّهُ

(١) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٨.
(٢) صحيح مسلم ٤، ح١٩٨٧، وأبو داود ٤، ح٤٩١٦، وابن حبان ٧، ح٥٦٣٢.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٣، وأبو داود ٤، ح٤٩١٠.
(٤) صحيح البخاري ٢/ ٧٠٢، ومسلم ١/ ٣٤٠.
(٥) أخرجه أحمد ٦/ ٨٣، وصحيح مسلم ٣/ ١٦٦٨.

- أو قال - إنّ ربَّه بينَهُ وبين القِبْلَةِ فلا يَبْزِقَنّ أحدُكم قِبَلَ القِبْلةِ ولكنْ عن يَسارِهِ أو تحتَ قدمِهِ، أو في غير المسجدِ» ثم أخذَ طرف ردائهِ فبصقَ فيه، ثم ردّ بعضَهُ على بعضٍ، وقال: «أو يفعلُ هكذا»[١].

وتأمّلْ قولَهُ ﷺ: «اللَّهمَّ إنّما أنا بشرٌ أغضَبُ كما يغضَبُ البَشَرُ، فأيُّما مسلم سببتُهُ، أو لعنتُهُ، أو ضربتُه فاجْعَلْها منّي صلاةً عليه وزكاةً وقُربةً تُقرّبه بها إليك يومَ القيامةِ»[٢].

فوائد: في ذكر شيءٍ من فضائل كَظْم الغَيْظِ والعفوِ والصّفحِ والحِلْمِ والرّحمةِ والحبِّ في الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، وقال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[٥]، وقال الله تعالى في بيان فضل الصّبر والعفو: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[٧]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[١٠] والآيات في ذلك كثيرةٌ معلومةٌ.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٤١٧، وصحيح مسلم ١/ ٣٩٠.
(٢) صحيح البخاري ١١، ح ٦٣٦١ «الفتح»، ومسلم ٤/ ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤-٣٥.
(٦) سورة الشّورى، الآية: ٤٣.
(٧) سورة الحِجر، الآية: ٨٥.
(٨) سورة النُّور، الآية: ٢٢.
(٩) سورة الحجر، الآية: ٨٨.
(١٠) سورة آل عِمرَان، الآية: ١٥٩.

وأخرج الشيخان قولهُ ﷺ: «إنّ الله ﷻ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرّفقَ في الأمرِ كلِّهِ، يَسِّرُوا ولا تُعسِّروا وبشِّروا ولا تُنفِّرُوا» وما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرين قطُّ إلّا اختارَ أيسرَهُما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ النّاس منه، وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِه قطُّ في شيءٍ إلّا أن تُنْتَهَكَ حُرُماتُ الله ﷻ فينتقم لله ﷻ (١).

قال ابنُ مسعودٍ: كأنّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياءِ وقد ضربه قومُهُ فأدْمُوهُ وهو يمسحُ الدَّم عن وجههِ ويقولُ: «اللَّهمَّ اغْفِرْ لقومي فإنّهم لا يعلَمُون»(٢).

وما ضربَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ بيدِهِ ولا امرأةً ولا خادماً إلّا أنْ يُجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيءٌ قطُّ فينتقم من صاحبهِ إلّا أن يُنتهك شيءٌ من محارمِ الله ﷻ، فينتَقِمَ لله ﷻ (٣)!

قال أبو هريرة: قال رجلٌ: يا رسولَ الله إنّ لي قرابةً أصِلُهُم ويقْطَعوني، وأُحسِنُ إليهِمْ ويُسيئون إليَّ، وأحلمُ عليهم ويجهلونَ عليَّ، فقال له النبيّ ﷺ: «لئنْ كنتَ كما قلتَ فكأنّما تَسُفُّهُمُ المَلَّ - أي الرّماد الحار - ولا يزال معكَ مِنَ الله ﷻ ظهيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلك»(٤)!.

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلّا ظلي»(٥).

وأخرجه الترمذي بإسناد حسن: «المتحابُّون بجلالي لهُمْ مَنابِرُ من نورٍ يغبطُهُم النّبيُّون والشّهداءُ»(٦).

---

(١) صحيح البخاري ١٢، ح٦٩٢٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٤.
(٢) صحيح البخاري ٦، ح٣٤٧٧ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣/ ١٤١٧.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨١٤، وأحمد ٦/ ٢٢٩.
(٤) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٢، وأحمد ٢/ ٣٠٠.
(٥) صحيح مسلم ٤، ح١٩٨٨، وأحمد ٢/ ٢٣٧.
(٦) أخرجه الترمذي ٤، ح٢٣٩٠.

روى مالك بسند صحيح: «قال الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبّتي للمتحابّين فيَّ والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذِلين فيَّ»(١).

وفي الحديث الصّحيح قوله ﷺ: «إذا أحبَّ الرّجُلُ أخاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أنّه يُحِبُّهُ»(٢).

البحث الثامن:

تحريم السّخرية والتّنابز بالألقاب وسوء الظّنّ والغيبة

أختي المؤمنة:

إيّاك من اقتراف شيء من هذه الأمور التي حرَّمَها الله تبارك وتعالى، فإنّها مفسدةٌ للأخلاق والآداب، ومفسدة للألفة بين الأقارب والجيران والأصحاب، وهي منافية لأخلاق الإسلام، فاحذريها.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾(٣). والسخرية: النظر إلى المسخور منه بعين النّقص، أي: لا تحتقرْ غيركَ عسى أن يكونَ عندَ الله خيراً منكَ وأفضل وأقرب، قال رسولُ الله ﷺ: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يؤْبَهُ له لو أقسم على الله لأبرَّهُ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣٣، ومالك في الموطأ ٩٥٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٤، ح٥١٢٤، وقال الألباني: صحيح.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ١١-١٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٥، ح٣٨٥٤، من حديث أبي هريرة، وقال الألباني: صحيح.

وقد احتقر إبليسُ اللَّعين آدم - صلى الله وسلم على نبيّنا وعليه - فباءَ بالخسار الأبديّ، وفاز آدمُ بالعزِّ الأبديّ، وشتّان ما بينهما، ويُحتمل أن يكون المرادُ بعسى: يصير، أي لا تحتقر غيرَكَ فإنّه ربما صار عزيزاً وصرتَ ذليلاً فينتقم منك.

لا تُهينَ الفقيرَ عَلّكَ أنْ تركعَ يوماً والدّهرُ قدْ رفعَهْ

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يعب بعضكُمُ على بعضٍ، واللّمزُ بالقول وغيره؛ والهَمْزُ بالقول فقط.

وعن الليث أنّه قال: اللُّمَزَةُ الذي يعيبُكَ في وجهِكَ والهُمَزَةُ الذي يعيبُكَ بالغيبِ.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ الآية: أنّ من فعل إحدى الثلاثة استحق اسم الفسق، وهو غاية النّقص بعد أن كان كاملاً بالإيمان، وضمَّ تعالى إلى هذا الوعيد الشّديد قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] للإشارة إلى عظمة إثم كلٍّ واحدٍ من تلك الثلاثة. ثم عقّب تعالى ذلك بأمره باجتناب الظّنّ وعلّل ذلك بأنّ بعض الظّنّ إثمٌ وهو: ما تخيَّلْتَ وقوعَهُ من غيرِكَ من غيرِ مستندٍ يقينيّ لكَ عليه.

قال ﷺ: «**إيّاك والظّنَّ، فإنّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ**»[2]. فالعاقل إذا وقف أمرُهُ على اليقين قلّما يتيقّن في أحدٍ عيباً يلمزُهُ به، لأن الشيء قد يصح ظاهراً لا باطناً وعكسه، فلا ينبغي حينئذٍ التّعويلُ على الظّنّ، وبعضُ الظّنِّ ليس بإثم، بل منه ما هو واجبٌ كظُنونِ المجتهدين في الفروع المترتبة على الأدلة الشرعية، فيلزمهم الأخذُ بها، وما هو مندوب [وذلك للحذر من الوقوع في الشّرِّ ونحوه].

وقال ﷺ: «**يا معشر مَنْ آمَنَ بلسانِهِ ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبِهِ: لا تغتابُوا المسلمين ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم، فإنّ مَنْ يتّبع عوراتِ المسلمين يتبع الله عورتَهُ، ومَنْ يتبعِ الله عورتَهُ يَفْضَحْهُ، ولو في جَوْفِ رَحْلِهِ**»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي لا يتكلّم أحدٌ مِنْكُم في حقِّ أحدٍ في

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) صحيح البخاري ١٠، ح٦٠٦٤ «الفتح»، وصحيح مسلم ٤/ ١٨٥، من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه الترمذي ٤، ح٣٠٣٢، من حديث ابن عمر، وقال الألباني: حسن صحيح.

غيبتهِ بما هو فيه ممّا يكرههُ، وأُلْحق به ما عُلِمَ ممّا مرّ في الآية السابقة في التكلّم في حضرته بذلك هو أبلغُ في الأذيّة، قال ﷺ: «أتَدْرُونَ ما الغيبةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ». قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ في أخي ما أقول؟ قال: «إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَهُ، وإن لم يكنْ فيه ما تقولُ فقدْ بَهَتَّهُ»(١).

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ ووجه التّشبيه أن الأنسان يتألّم قلبه من قَرْض عرضه كما يتألم بدنه من قطع لحمِهِ لأكلهِ، بل أبلغُ، لأنّ عرضَ العاقل عندَهُ أشرفُ من لحمه ودمه، وكما أنّه لا يَحْسُنُ من العاقلِ أكلُ لحومِ الناس لا يحسنُ منه قرضُ عرضِهِم بالطريق الأوْلَى، لأنه ألمّ.

فإنّ الميت لو أحسَّ بأكلِ لحمهِ لآلمه، فكذا الغِيبَةُ تحرمُ في الغَيبَةِ، لأن المُغتاب لو اطلع عليها لتألّم.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوءِ، لا يُحبُّ أحدُكم أكلَ ذلك، إذ همزة ﴿أَيُحِبُّ﴾ للإنكار، فكرهتموهُ إذاً فاكرَهوا هذا كذلك.

ويتبيّن من ختام الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أن ما فيها أفحش، لأنه إيذاء في الحضرة بالسّخرية أو اللّمز أو النّبز، بخلافه في الآية الثانية، فإنّه بأمر خفي، إذْ كلٌّ من الظّنّ والتّجسس والغيبة يقتضي الإخفاء وعدم العلم به غالباً، وإذا انتهى الكلام على هاتين الآيتين المشتملتين على آدابٍ وأحكامٍ وحِكَمٍ وتشديدات وتهديداتٍ لا يُحصيها إلّا منزّلها، فلنذكر بعض الأحاديث الواردة في الغيبة ومتعلّقاتِها:

عن أبي بكرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال في خطبتهِ في حجّة الوَداع: «إنّ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُم وأعْراضَكُمْ عليكُمْ حرامٌ كحُرْمَةِ يومِكُمْ هذا في شهرِكُمْ هذا في بلدِكُمْ هذا، ألَا هَلْ بلغتُ؟»(٢).

وقال ﷺ: «كُلُّ المسلمِ على المسلمِ حَرامٌ؛ دَمُهُ وعِرْضُهُ ومَالُهُ»(٣).

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠١، والترمذي ٤/ ٢٩٠، من حديث أبي هريرة.
(٢) صحيح البخاري ٣، ح١٧٤١، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٠٥، من حديث أبي بكرة.
(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٦، من حديث أبي هريرة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبيّ ﷺ: حَسْبُكَ من صفيّة كذا وكذا - قال بعض الرواة: تعني قصيرة - فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لمزجتْهُ»[١] أي لأنْتَنَتْهُ وغيَّرتْ ريحَهُ.

وقال رسولُ الله ﷺ: «لمّا عُرِجَ بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاس يخمشُون وجوهَهُمْ وصُدُورَهُمْ فقلتُ: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلونَ لحومَ النّاسِ ويقعُون في أعراضِهِم»[٢].

وقال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنِ امْرئٍ مسلم يخذل امْرأً مسلماً في موضع تُنْتَهَكُ فيه حرمتُهُ ويُنْتَقَصُ فيه من عرضِهِ إلّا خذلهُ الله في موطن يُحبُّ فيه نُصرَتَهُ، وما من امْرِئٍ مسلم ينصُرُ مسلماً في موضع يُنْتَقَصُ فيه من عرضِهِ ويُنْتَهَكُ فيه من حُرْمَتِهِ إلّا نصرَهُ الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصْرَتَهُ»[٣] أي يجبُ على المسلم أن يدفع عن عرضِ أخيهِ المسلمِ الأذى، والغيبة من الأذى.

فائدة: الأصلُ في الغيبةِ الحُرمَةُ، وقد تجبُ أو تُباحُ لغرضٍ صحيحٍ شرعي، لا يُتوصَّل إليه إلا بها وتنحصر في ستَّة أبواب[٤]:

الأول: المتظلم، فلمن ظلم أن يشكوَ لمن يظنُّ أن له قدرةً على إزالة ظلمهِ أو تخفيفه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يظنّ قدرتهُ على إزالتهِ بنحو فلانٍ يعمل كذا فازجُرْهُ عنه، بقصد التّوصل إلى إزالة المنكر وإلا كان غيبة محرمة، ما لم يكن الفاعل مجاهراً لما يأتي.

الثالث: الاستفتاء بأن نقول لمفت: ظلمني بكذا فلان فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه أو تحصيل حقي أو نحو ذلك، والأفضل أن يبهمه فيقول: ما تقول في شخص أو زوج كان من أمره كذا، لحصول الغرض به.

---

(١) أخرجه الترمذي ٤، ح٢٥٠٢، وقال الألباني: صحيح، وأبو داود ٤، ح٤٨٧٥.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٤، وأبو داود ٤، ح٤٨٨٧، من حديث أنس بن مالك، وذكره الألباني في الصحيحة ٥٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٤، ح٤٨٨٤، وهو حديث حسن.

(٤) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ص: ١٥٢، ١٥٣.

قالت هند امرأةُ أبي سفيان ﷺ للنبي ﷺ: إنّ أبا سفيانَ رجلٌ شحيحٌ وليسَ يُعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لا يعلمُ؟ قال: «**خُذي ما يكفيكِ وولدَكِ بالمعروف**»(١).

الرابع: تحذير المسلمين من الشّر ونصيحتهم، كجرح الرّواة والشّهود والمصنفين والمتصدرين لإفتاءٍ أو إقراءٍ مع عدم أهليّةٍ أو مع نحو فسقٍ أو بدعةٍ، وهم دعاةٌ إليها ولو سراً، فيجوز إجماعاً، بل يجب، وكأنْ يُشيرَ وإن لم يُسْتَشَرْ على مريد تزويج أو مخالطة لغيره في أمرٍ ديني أو دنيويّ، وقد علم في ذلك الغير قبيحاً منفراً كفسقٍ أو بدعةٍ أو طمع أو غير ذلك كفقرٍ في الزّوج، لما يأتي في معاوية ﷺ بترك تزويجه «أمّا معاويةُ فصُعْلُوكٌ لا مالَ لهُ، وأمّا أبو الجَهْم فلا يضعُ العَصَا عن عاتقِهِ»(٢). ثم إن اكتفى بنحو: «**لا يصلح لك**» لم يزدْ عليه، وإن توقف على ذكر عيبٍ ذكرَهُ ولا تجوز الزيادة عليه، أو عيْبَيْنِ اقتصرَ عليهما، وهكذا لأن ذلك كإباحة الميتة للمضطر، فلا يجوزُ تناولُ شيءٍ منها إلّا بقدر الضرورة، نعم الشرط أن يقصد بذلك بذل النصيحة لوجهِ الله تعالى دون حظ آخر، وكثيراً ما يفضُلُ الإنسان على ذلك فيُلبّس عليه الشيطان ويحمله على التكلّم به حينئذٍ لا نُصحاً، ويُزيّن له أنه نُصْحٌ وخيرٌ.

ومن هذا أن يعلم من ذي ولاية قادحاً فيها كفسق أو تغفّل.

الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب كالأعرج والأعمش، فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه ولو علمه بعد أن قد صار مشهوراً.

السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق، وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به.

---

(١) صحيح البخاري ٩، ح٥٣٦٤ «الفتح»، وصحيح مسلم ٣/ ١٣٣٨، وأبو داود ٣، ح٣٥٣٢، وابن ماجه ٢، ح٢٢٩٣، من حديث عائشة.

(٢) صحيح مسلم، ٢/ ١١١٤، وأبو داود ٢/ ١٤٨٠، والترمذي ٣، ح١١٣٥، وابن ماجه ١، ح١٨٦٩، والنسائي ٦/ ٧٣.

البحث التاسع:

وجوب تحسين اسم المرأة

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن ابنةً لعمر كان يقال لها: عاصية، فسمّاها رسولُ الله ﷺ جميلة(١). قال: «إنّ رسول الله غيّر اسم عاصية، وقال: أنتِ جميلة»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن زينب بنت أبي سلمة كان اسمها برّة فقيل: تُزكّي نفسها، فسمّاها رسولُ الله ﷺ زينب»(٣).

وعن محمد بن عمرو بن عطاء، قال: سميتُ ابنتي برّة، فقالت زينب بنت أبي سلمة: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمّيتُ برة، فقال ﷺ: **«لا تُزكُّوا أنفسَكُم، الله أعلمُ بأهل البرِّ منكم»**، فقالوا: بمَ نُسميها؟ فقال: **«سَمُّوها زينب»**(٤).

البحث العاشر:

تحريم قسوة القلب بحيث يمنعكِ من البِرّ والخير

أختي المؤمنة:

إيّاك وقَسْوَةَ القلبِ التي تحولُ بينكِ وبين فعلِ البِرِّ والخيرِ، فإنّ رقّة القلبِ مَدْعَاةٌ إلى الإكثارِ من المبرّاتِ وفعلِ الصالحات.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن، ورواه مسلم باختصار.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٢/١٨، ورواه مسلم في كتاب الأدب ١٤ - ١٥، ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٦٢، ورواه الترمذي في كتاب الأدب ٦٦، ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٣٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب ١٠٨، ورواه مسلم في كتاب الأدب ١٩، ورواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٣٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب الأدب ١٩، ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٦٢.

ولقد عابَ الله تعالى على اليهود قَسْوَةَ قلوبهم، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١).

ويُنَدِّدُ الله تعالى بنقضِ اليهودِ المواثيق فيقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾(٢) فقسوةُ القلب من آثار نقض العُهود والمواثيق.

والقلوبُ القاسيةُ مُتوافقة مع ميول الشيطان، يقول الله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾(٣).

وقال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٤). وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٥).

فمن جميع هذه الآيات الكريمة يتبيّن أنّ قسوة القلب عن ذكرِ الله تعالى وعن البرِّ والخير كبيرةٌ من كبائر الذُّنوب.

ولقد حذّر رسولُ الله ﷺ من خطرِ قسوةِ القلب، ونبّه على تجنّب أسبابه. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تُكْثِروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله، فإنّ كثرةَ الكلامِ بغيرِ ذكرِ الله قسوةٌ للقلب، وإنّ أبعد النّاسِ مِنَ الله القلبُ القاسي**»(٦).

عن أبي هريرة أنّ رجلاً شكى إلى النبي ﷺ قَسْوَةَ قلبه، فقال: «**امسحْ رأس اليتيم، وأطعمِ المسكين**»(٧).

عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: «**ألَا إنّ الكفرَ والفُسُوقَ وقسوةَ القلب في الفَدَّادِين [وهم رعاة الإبل والبقر] أصحاب الشعر والوبر الذين يغتالهم**

---

(١) سورة البَقَرَة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥٣.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٦) سنن الترمذي برقم ٢٤١١، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
(٧) مسند أحمد ج٢/ ٣٨٧، والترغيب والترهيب ج٣/ ٣٤٩، بإسناد رجاله رجال الصحيح، انظر فتح الباري ج١١/ ١٥١، ومجمع الزّوائد ج٨/ ١٦٠.

الشياطين على أعجاز الإبل»[١].

وفي الصحيحين عن أبي مسعودٍ قال ﷺ : أشارَ النبيُّ ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: «ألاَ إنّ الإيمان هاهنا، وإن القسوةَ وغِلَظ القلوب في الفَدَّادين، عند أصول أذنابِ الإبلِ، حيثُ يطلع قَرْنا الشّيطانِ، في ربيعةَ ومُضَرَ»[٢] وهذا تحذير منه ﷺ من أنْ يسلكَ المسلمُ مسلكاً يكون سبباً لقسوةِ قلبهِ.

البحث الحادي عشر:

تحريم كفران النّعمة والإحسان بين النّاس

أختي المؤمنة:

إنّ الاعتراف بالفضل والإحسان فيما بين المسلمين من أخلاق الإسلام وآدابه، فلو ترك المسلمون الاعتراف بذلك فيما بينهم أدّى ذلك إلى عدم الاعتراف بالخير فيما بينهم، وهذا موصل إلى تركه، ولهذا حرّمه الله تعالى.

عن عبد الله بن عمر ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنِ اسْتَعَاذَ بالله فأعِيذُوهُ، ومَنْ سألَكُمْ بالله فأعْطُوهُ، ومن استجار بالله فأجيرُوهُ، ومن أتى إليكُمْ معرُوفاً فكافِئُوه، فإن لم تجدوا فادْعُوا له حتى تعلمُوا أنّكم قد كافأتُموهُ»[٣].

وفي رواية: «فإنْ عجزتُمْ عن مُجازَاتِهِ فادْعُوا له حتى تعلمُوا أنْ قد شكرتُمْ، فإنّ الله شاكرٌ يُحبُّ الشّاكرين»[٤].

---

(١) مسند أحمد ج٢/ ٥٤١ بإسناد صحيح.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٣٠٢، وصحيح مسلم برقم ٥١-٨١، ومسند أحمد ج٤/ ١١٨ و٥/ ٢٧٣.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٠، والنسائي ٥/ ٨٢، من حديث ابن عباس، وفي صحيح سنن النسائي برقم ٢٤٠٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤/ ٥١٠٩، والنسائي ٥/ ٨٢، والحاكم ٢/ ٦٤، وابن حبان ٥/ ٣٤٠٠، من حديث ابن عمر، وقال الألباني: صحيح، الصحيحة ٢٥٤.

وفي رواية لأبي داود: «مَنْ أُبْلِيَ بلاءً - أي أنعم عليه، إذ الإبلاءُ الإنعامُ - فذكرَهُ فقد شكَرهُ، وإنْ كتمَهُ فقد كفرَهُ»(١).

وقال ﷺ: «إنّ أشكر النّاس لله تبارك وتعالى أشكرُهُم للنّاسِ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومن لم يشكرِ النّاسَ لم يشكرِ الله، والتّحدّثُ بنعمةِ الله شكرٌ؛ وترك التّحدثِ كفرٌ، والجماعةُ رحمةٌ والفُرقةُ عذابٌ»(٣).

فائدة هامة: كوْن هذا كبيرة هو ظاهرُ ما في الحديث الثّاني من أنّ ذلك كفرٌ أي يجرُّ إلى كفرِ نِعَمِ الله تعالى، لكنْ لم أرَ أحداً تعرّض لذلك، وكأنّ عذرهم أنهم فهمُوا أنّ المراد أنّه كفرٌ لنعمةِ المحسنِ، ومجردُ هذا لا يقتضي أنّه كبيرة، بل هو محرّم، لأنّه مناف لأخلاق الإسلام، فإنّ من أخلاق الإسلام الإقرار بالخير لمن فعله، وفاعل الخير لا يقصد بفعله الخير ليمدحه النّاس، وإنّما يفعله تقرّباً إلى الله تبارك وتعالى فحسب، أمّا الواجبُ على الآخرين إزاء ذلك أن يذكروه بفعله، فإنّ هذا من الأخلاق الحميدة، بأن تذكرَ أهل الخير والإحسان بأفعالهم وصفاتهم الحميدة.

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٤٨١٤، وذكره الألباني في الصحيحة ٦١٨، من حديث جابر.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٢١١ - ٢١٢، وذكره الألباني في الصحيحة ٤١٧ بلفظ: «لا يشكر الله من لا يشكُر للناس».

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في الزوائد ح١٢٢، من حديث النعمان بن بشير، وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢١٧، وقال: رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات، وذكره الألباني في صحيح الجامع ٦٥٤١.